تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين

أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي

المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء الأول

[قوبلت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية]

وصححها نخبة من العلماء

From the Library of Is... Sarqetdin

طبع بدار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال الشيخ الإمام الأوحد ، البارع الحافظ المتقن ، عماد الدين أبو الفداء : إسماعيل بن الخطيب أبى حفص عمر بن كثير ، الشافعى ، رحمه الله تعالى ورضى عنه)

الحمد لله الذى افتتح كتابه بالحمد فقال ﴿ الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين ﴾ وقال تعالى : (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا * قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا * وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا * مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) وافتتح خلقه بالحمد فقال تعالى (الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) واختتمه بالحمد فقال بعد ما ذكر مآل أهل الجنة وأهل النار (وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) ولهذا قال تعالى (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون) كما قال تعالى (الحمد لله الذى له مافى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير) فله الحمد فى الأولى والآخرة أى فى جميع ما خلق وما هو خالق ، هو المحمود فى ذلك كله كما يقول المصلى « اللهم ربنا لك الحمد ، ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شىء بعد » ولهذا يلهم أهل الجنة تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس أى يسبحونه ويحمدونه عدد أنفاسهم ، لما يرون من عظيم نعمه عليهم ، وكمال قدرته وعظيم سلطانه وتوالى مننه ودوام إحسانه اليهم كما قال تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم * دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)

والحمد لله الذى أرسل رسله (مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وختمهم بالنبى الأمى العربى المكى الهادى لأوضح السبل ، أرسله إلى جميع خلقه من الإنس والجن من لدن بعثته إلى قيام الساعة كما قال تعالى (قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) وقال تعالى (لأنذركم به ومن بلغ) فمن بلغه هذا القرآن من عرب وعجم وأسود وأحمر وإنس وجان فهو نذير له ، ولهذا قال تعالى (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) فمن كفر بالقرآن ممن ذكرنا فالنار موعده بنص الله تعالى كما قال تعالى (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت إلى الأحمر والأسود» قال مجاهد يعنى الإنس والجن . فهو صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى جميع الثقلين الإنس والجن مبلغا لهم عن الله تعالى ما أوحاه إليه من هذا الكتاب العزيز الذى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقد أعلمهم فيه عن الله تعالى أنه ندبهم إلى فهمه فقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وقال تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)

(فالواجب) على العلماء الكشف عن معانى كلام الله وتفسير ذلك وطلبه من مظانه وتعلم ذلك وتعليمه كما قال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون) وقال تعالى (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ولايكلمهم الله ولاينظر اليهم يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم) فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله المنزل عليهم وإقبالهم على الدنيا وجمعها واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله

فعلينا أيها المسلمون أن ننتهى عما ذمهم الله تعالى به ، وأن نأتمر بما أمرنا به من تعلم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه ، وتفهمه وتفهيمه ، قال الله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون * اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) ففى ذكره تعالى لهذه الآية بعد الذى قبلها تنبيه على أنه تعالى كما يحيي الأرض بعد موتها كذلك يلين القلوب بالايمان والهدى بعد قسوتها من الذنوب والمعاصى ، والله المؤمل المسئول أن يفعل بنا هذا إنه جواد كريم .

فان قال قائل فما أحسن طرق التفسير ؟ (فالجواب) أن أصح الطريق فى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل فى مكان فانه قد بسط فى موضع آخر فان أعياك ذلك فعليك بالسنة فانها شارحة للقرآن وموضحة له ، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى رحمه الله تعالى كل ماحكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن . قال الله تعالى (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولاتكن للخائنين خصيما) وقال تعالى (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون) ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه » يعنى السنة . والسنة أيضا تنزل عليه بالوحى كما ينزل القرآن إلا أنها لاتتلى كما يتلى القرآن وقد استدل الإمام الشافعى رحمه الله تعالى وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك .

والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه فإن لم تجده فمن السنة كما قال رسول الله صلى الله عليه سلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن « فبم تحكم ؟ قال بكتاب الله . قال فإن لم تجد ؟ قال بسنة رسول الله ، قال فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيى . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدره وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » وهذا الحديث فى المسند والسنن بإسناد جيد كما هو مقرر فى موضعه . وحينئذ إذا لم نجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة رجعنا فى ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التى اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح لاسيما علماءهم وكبراءهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهتدين المهديين ، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم . قال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثنا أبو كريب حدثنا جابر بن نوح حدثنا الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال قال عبد الله يعنى ابن مسعود : والذى لا إله غيره مانزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت . وأين نزلت . ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله منى تناله المطايا لأتيته وقال الأعمش أيضا عن أبى وائل عن ابن مسعود قال : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن وقال أبو عبد الرحمن السلمى حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعا .

ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له حيث قال « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار وحدثنا وكيع حدثنا سفيان عن الأعمش عن مسلم — كذا قال — قال عبد الله يعنى ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس ، ثم رواه عن يحيى بن داود عن إسحق الأزرق عن سفيان عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن أبى الضحى عن مسروق عن

ابن مسعود أنه قال : نعم الترجمان للقرآن ابن عباس . ثم رواه عن بندار عن جعفر بن عون عن الأعمش به كذلك. فهذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة . وقد مات ابن مسعود رضى الله عنه فى سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح وعمر بعده عبد الله بن عباس ستا وثلاثين سنة ، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود وقال الأعمش عن أبى وائل استخلف علىّ عبد الله بن عباس على الموسم فخطب الناس فقرأ فى خطبته سورة البقرة وفى رواية سورة النور ففسرها تفسيرا لوسمعته الروم والترك والديلم لأسلموا .

ولهذا غالب ماير ويه إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير فى تفسيره عن هذين الرجلين ابن مسعود وابن عباس ولكن فى بعض الأحيان ينقل عنهم مايحكونه من أقاويل أهل الكتاب التى أباحها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى اسرائيل ولاحرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » رواه البخارى عن عبد الله بن عمرو ولهذا كان عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب ، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن فى ذلك .

ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد فانها على ثلاثة أقسام (أحدها) ماعلمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح (والثانى) ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه (والثالث) ماهو مسكوت عنه لامن هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته لما تقدم ، وغالب ذلك مما لافائدة فيه تعود إلى أمر دينى . ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب فى هذا كثيرا . ويأتى عن المفسرين خلاف بسبب ذلك ، كما يذكرون فى مثل هذا أسماء أصحاب الكهف . ولون كلبهم ، وعددهم . وعصا موسى من أى الشجر كانت . وأسماء الطيور التى أحياها الله لإبراهيم ، وتعيين البعض الذى ضرب به القتيل من البقرة ، ونوع الشجرة التى كلم الله منها موسى ، إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى فى القرآن مما لافائدة فى تعيينه تعود على المكلفين فى دينهم ولادنياهم . ولكن نقل الخلاف عنهم فى ذلك جائز كما قال تعالى (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ، قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل * فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا) فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب فى هذا المقام وتعليم ما ينبغى فى مثل هذا ، فانه تعالى حكى عنهم ثلاثة أقوال ضعف القولين الأولين وسكت عن الثالث ، فدل على صحته إذ لو كان باطلا لرده كما ردهما ثم أرشد على أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فقال فى مثل هذا (قل ربى أعلم بعدتهم) فانه ما يعلم ذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه فلهذا قال (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا) أى لاتجهد نفسك فيما لا طائل تحته ولا تسألهم عن ذلك فانهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب . فهذا أحسن مايكون فى حكاية الخلاف : أن تستوعب الأقوال فى ذلك المقام وأن تنبه على الصحيح منها وتبطل الباطل وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته ، فتشتغل به عن الأهم فالأهم . فأما من حكى خلافا فى مسئلة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص إذ قد يكون الصواب فى الذى تركه ، أو يحكى الخلاف ويطلقه ولاينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضاً ، فإن صحح غير الصحيح عامدا فقد تعمد الكذب ، أو جاهلا فقد أخطأ ، وكذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته أوحكى أقوالا متعددة لفظا ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى فقد ضيع الزمان وتكثر بما ليس بصحيح فهو كلابس ثوبى زور ، والله الموفق للصواب

(فصل) إذا لم تجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة ولاوجدته عن الصحابة ، فقد رجع كثير من الأئمة فى ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فانه كان آية فى التفسير كما قال محمد بن إسحق ثنا أبان بن صالح عن مجاهد قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها . وقال ابن جرير : أنبأنا أبو كريب أنبأنا طلق بن غنام عن عثمان المكى عن ابن أبى مليكة : قال رأيت مجاهدا سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه قال : فيقول له ابن عباس اكتب حتى سأله عن التفسير كله ولهذا كان سفيان الثورى يقول : إذا

جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به ، وكسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبي رباح والحسن البصرى ومسروق بن الأجدع وسعيد بن المسيب وأبى العالية والربيع بن أنس وقتادة والضحاك بن مزاحم وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم فتذكر أقوالهم فى الآية فيقع فى عبارتهم تباين فى الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافا فيحكيها أقوالا ، وليس كذلك فان منهم من يعبر عن الشىء بلازمه أو بنظيره ، ومنهم من ينص على الشىء بعينه ، والكل بمعنى واحد فى أكثر الأماكن فليتفطن اللبيب لذلك والله الهادى . وقال شعبة بن الحجاج وغيره : أقوال التابعين فى الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة فى التفسير ؟ يعنى أنها لاتكون حجة على غيرهم ممن خالفهم وهذا صحيح . أما إذا أجمعوا على الشىء فلا يرتاب فى كونه حجة ، فان اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على قول بعض ولا على من بعدهم ويرجع فى ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أوعموم لغة العرب أو أقوال الصحابة فى ذلك . فأما تفسير القرآن بمجرد الرأى فحرام لما رواه محمد بن جرير رحمه الله تعالى حيث قال : ثنا محمد بن بشار ثنا يحيى بن سعيد ثنا سفيان حدثنى عبد الأعلى هو ابن عامر الثعلبى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من قال فى القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار » وهكذا أخرجه الترمذى والنسائى من طرق عن سفيان الثورى به ورواه أبو داود عن مسدد عن أبى عوانة عن عبد الأعلى به مرفوعا وقال الترمذى : هذا حديث حسن ، وهكذا رواه ابن جرير أيضا عن يحيى بن طلحة اليربوعى عن شريك عن عبد الأعلى به مرفوعا ولكن رواه عن محمد بن حميد عن الحكم بن بشير عن عمرو بن قيس الملائى عن عبد الأعلى عن سعيد عن ابن عباس فوقفه ، وعن محمد بن حميد عن جرير عن ليث عن بكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس من قوله فالله أعلم ، وقال ابن جرير : أنبأنا العباس بن عبد العظيم العنبرى ثنا حيان بن هلال ثنا سهل أخو حزم ثنا أبو عمران الجونى عن جندب أن رسول الله ﷺ قال « من قال فى القرآن برأيه فقد أخطأ » وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذى والنسائى من حديث سهيل بن أبى حزم القطيعى وقال الترمذى : غريب وقد تكلم بعض أهل العلم فى سهيل . وفى لفظ لهم « من قال فى كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ » أى لأنه قد تكلف مالا علم له به وسلك غير ما أمر به فلو أنه أصاب المعنى فى نفس الأمر لكان قد أخطأ لأنه لم يأت الأمر من بابه كمن حكم بين الناس على جهل فهو فى النار وإن وافق حكمه الصواب فى نفس الأمر لكن يكون أخف جرما ممن أخطأ والله أعلم وهكذا سمى الله القذفة كاذبين فقال (فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) فالقاذف كاذب ولو كان قد قذف من زنى فى نفس الأمر لأنه أخبر بما لا يحل له الإخبار به ولو كان أخبر بما يعلم لأنه تكلف مالا علم له به والله أعلم ولهذا تحرج جماعة من السلف عن تفسير مالا علم لهم به كما روى شعبة عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن أبى معمر قال قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : أى أرض تقلنى ، وأى سماء تظلنى ، إذا قلت فى كتاب الله مالا أعلم وقال أبو عبيد القاسم بن سلام ثنا محمد بن يزيد عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمى أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله تعالى (وفاكهة وأبا) فقال أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إذا أنا قلت فى كتاب الله مالا أعلم . منقطع . وقال أبو عبيد أيضا ثنا يزيد عن حميد عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر (وفاكهة وأبا) فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال إن هذا لهو التكلف ياعمر وقال محمد بن سعد ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال كنا عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفى ظهر قميصه أربع رقاع فقرأ (وفاكهة وأبا) فقال فما الأب ثم قال هو التكلف فما عليك أن لاتدريه ؟ وهذا كله محمول على أنهما رضى الله عنهما إنما أرادا استكشاف علم كيفية الأب وإلا فكونه نبتا من الأرض ظاهر لا يجهل كقوله تعالى (فأنبتنا فيها حبا وعنبا) الآية وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية عن أيوب عن ابن أبى مليكة أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها فأبى أن يقول فيها ، إسناده صحيح : وقال أبو عبيد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن ابن أبى مليكة قال : سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة ؟ فقال له ابن عباس : فما (يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ؟ فقال له الرجل إنما سألتك لتحدثنى فقال

ابن عباس : هما يومان ذكرهما الله فى كتابه الله أعلم بهما ، فكره أن يقول فى كتاب الله مالا يعلم . وقال ابن جرير أيضا: حدثنى يعقوب يعنى ابن إبراهيم حدثنا ابن علية عن مهدى بن ميمون عن الوليد بن مسلم قال : جاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبدالله فسأله عن آية من القرآن ؟ فقال : أحرج عليك إن كنت مسلما لما قمت عنى ـ أوقال : أن تجالسنى وقال مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال : إنا لا نقول فى القرآن شيئا . وقال الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يتكلم إلا فى العلوم من القرآن وقال شعبة عن عمرو بن مرة قال سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال : لا تسألنى عن القرآن وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شىء يعنى عكرمة . وقال ابن شوذب حدثنى يزيد بن أبى يزيد قال : كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحرام والحلال وكان أعلم الناس فاذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع . وقال ابن جرير : حدثنى أحمد بن عبدة الضبى حدثنا حماد بن زيد حدثنا عبيدالله بن عمر قال : لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول فى التفسير منهم سالم بن عبدالله والقاسم بن محمد وسعيد بن المسيب ونافع . وقال أبو عبيد حدثنا عبدالله بن صالح عن ليث عن هشام بن عروة قال ماسمعت أبى يؤول آية من كتاب الله قط . وقال أيوب وابن عون وهشام الدستوائى عن محمد بن سيرين سألت عبيدة يعنى السلمانى عن آية من القرآن فقال : ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن . فاتق الله وعليك بالسداد وقال أبو عبيد : حدثنا معاذ عن ابن عون عن عبدالله بن مسلم بن يسار عن أبيه قال : إذا حدثت عن الله حديثا فقف حتى تنظر ماقبله ومابعده . حدثنا هشيم عن مغيرة عن إبراهيم قال : كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه . وقال شعبة عن عبدالله بن أبى السفر قال قال الشعبى والله مامن آية إلا وقد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله عز وجل . وقال أبو عبيد حدثنا هشيم حدثنا عمرو بن أبى زائدة عن الشعبى عن مسروق قال اتقوا التفسير فانما هو الرواية عن الله

فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام فى التفسير بما لا علم لهم فيه . فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه ، ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوال فى التفسير ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه ، وهذا هو الواجب على كل أحد ، فانه كما يجب السكوت عما لا علم له به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) ولما جاء فى الحديث الذى روى من طرق « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » وأما الحديث الذى رواه أبو جعفر بن جرير حدثنا عباس بن عبدالعظيم حدثنا محمد بن خالد بن عثمة حدثنا أبو جعفر بن محمد الزبيرى حدثنى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يفسر شيئا من القرآن إلا آيا بعدد علمهن إياه جبريل عليه السلام ، ثم رواه عن أبى بكر محمد بن يزيد الطرسوسى عن معن بن عيسى عن جعفر بن خالد عن هشام به ـ فإنه حديث منكر غريب وجعفر هذا هو ابن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشى الزبيرى قال البخارى : لا يتابع فى حديثه وقال الحافظ أبو الفتح الأزدى : منكر الحديث ، وتكلم عليه الإمام أبو جعفر بما حاصله أن هذه الآيات مما لا يعلم إلا بالتوقيف عن الله تعالى مما وقفه عليها جبرائيل ، وهذا تأويل صحيح لو صح الحديث فإن من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه ، ومنه مايعلمه العلماء ومنه ماتعلمه العرب من لغاتها ، ومنه مالا يعذر أحد فى جهالته كما صرح بذلك ابن عباس فيما قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن أبى الزناد قال : قال ابن عباس التفسير على أربعة أوجه . وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه أحد إلا الله . قال ابن جرير : وقد روى نحوه فى حديث فى إسناده نظر ، حدثنى يونس بن عبد الأعلى الصدفى أنبأنا ابن وهب سمعت عمرو بن الحرث يحدث عن الكلبى عن أبى صالح مولى أم هانىء عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام ـ لا يعذر أحد بالجهالة به ، وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ، ومتشابه لا يعلمه إلا الله عز وجل ، ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب » والنظر الذى أشار اليه فى إسناده هو من جهة محمد بن السائب الكلبى فإنه متروك الحديث لكن قد يكون إنما وهم فى رفعه ، ولعله من كلام ابن عباس كما تقدم والله أعلم

(مقدمة مفيدة تذكر فى أول التفسير قبل الفاتحة)

قال أبو بكر بن الانبارى حدثنا إسماعيل بن إسحق القاضى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا همام عن قتادة قال نزل فى المدينة من القرآن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وبراءة والرعد والنحل والحج والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والرحمن والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق و (يأيها النبى لم تحرم) إلى رأس العشر وإذا زلزلت و (إذا جاء نصر الله) هؤلاء السور نزلت بالمدينة وسائر السور بمكة

فأما عدد آيات القرآن العظيم فستة آلاف آية ثم اختلف فيما زاد على ذلك على أقوال : فمنهم من لم يزد على ذلك ومنهم من قال ومائتى آية وأربع آيات ، وقيل وأربع عشرة آية . وقيل ومائتان وتسع عشرة آية وقيل ومائتان وخمس وعشرون آية ، أو ست وعشرون آية ، وقيل ومائتان وست وثلاثون ، حكى ذلك أبو عمرو الدانى فى كتابه البيان . وأما كلماته فقال الفضل بن شاذان عن عطاء بن يسار سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة. وأما حروفه فقال عبد الله بن كثير عن مجاهد هذا ما أحصينا من القرآن وهو ثلثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف ومائة وثمانون حرفا ، وقال الفضل بن عطاء بن يسار ثلثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألفا وخمسة عشر حرفا . وقال سلام أبو محمد الحمانى . إن الحجاج جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال : أخبرونى عن القرآن كله كم من حرف هو ؟ قال : فحسبنا فأجمعوا أنه ثلثمائة ألف وأربعون ألفا وسبعمائة وأربعون حرفا قال : فأخبرونى عن نصفه فاذا هو إلى الفاء من قوله فى الكهف (وليتلطف) وثلثه الأول عند رأس مائة آية من براءة والثانى على رأس مائة أو إحدى ومائة من الشعراء ، والثالث إلى آخره ، وسبعه الأول إلى الدال من قوله تعالى (فمنهم من آمن ومنهم من صد) والسبع الثانى إلى التاء من قوله تعالى فى سورة الأعراف (أولئك حبطت) والثالث إلى الألف الثانية من قوله تعالى فى الرعد (أكلها) والرابع إلى الألف فى الحج من قوله (جعلنا منسكا) والخامس إلى الهاء من قوله فى الأحزاب (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) والسادس إلى الواو من قوله تعالى فى الفتح (الظانين بالله ظن السوء) والسابع إلى آخر القرآن . قال سلام أبو محمد علمنا ذلك فى أربعة أشهر ، قالوا وكان الحجاج يقرأ فى كل ليلة ربع القرآن ، فالأول إلى آخر الأنعام والثانى إلى (وليتلطف) من سورة الكهف ، والثالث إلى آخر الزمر ، والرابع إلى آخر القرآن وقد حكى الشيخ أبو عمرو الدانى فى كتابه (البيان) خلافا فى هذا كله فالله أعلم

وأما (التحزيب والتجزئة) فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما فى الربعات بالمدارس وغيرها وقد ذكرنا فيما تقدم الحديث الوارد فى تحزيب الصحابة للقرآن والحديث فى مسند الإمام أحمد وسنن أبى داود وابن ماجه وغيرهم عن أوس بن حذيفة أنه سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا ثلث وخمس وسبع وتسع وأحد عشرة وثلاث عشرة[1] وحزب المفصل حتى تختم

(فصل) واختلف فى معنى السورة مما هى مشتقة فقيل من الإبانة والارتفاع قال النابغة

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

فكان القارىء ينتقل بها من منزلة الى منزلة. وقيل لشرفها وارتفاعها كسور البلدان وقيل سميت سورة لكونها قطعة من القرآن وجزءا منه مأخوذ من أسآر الإناء وهو البقية . وعلى هذا فكون أصلها مهموزا . وإنما خففت الهمزة فأبدلت الهمزة واوا لانضمام ما قبلها وقيل لتمامها وكمالها لأن العرب يسمون الناقة التامة سورة (قلت) ويحتمل أن يكون من الجمع والإحاطة لآياتها كما يسمى سور البلد لإحاطته بمنازله ودوره . وجمع السورة سور بفتح الواو وقد يجمع على سورات وسورات . وأما الآية فمن العلامة على انقطاع الكلام الذى قبلها عن الذى بعدها وانفصالها أى هى بائنة عن أختها ومنفردة قال الله تعالى (إن آية ملكه) وقال النابغة

توهمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع

وقيل لأنها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه كما يقال خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم قال الشاعر :

---

(١) كذا والقاعدة فى المذكر أحد عشر وثلاثة عشر وفى المؤنث إحدى عشرة وثلاث عشرة

خرجنا من النقبين لا حى مثلنا بآيتنا نزجى اللقاح المطافلا

وقيل سميت آية لأنها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثلها قال سيبويه وأصلها أيية مثل أكمة وشجرة تحركت الياء وانفتح ماقبلها فقلبت ألفا فصارت آية بهمزة بعدها مدة وقال الكسائى أصلها آيية على وزن آمنة فقلبت ألفا ثم حذفت لالتباسها وقال الفراء أصلها أيية بتشديد الياء الأولى فقلبت ألفا كراهية التشديد فصارت آية وجمعها آى وآيات وآياى. وأما الكلمة فهى اللفظة الواحدة وقد تكون على حرفين مثل ما ولا ونحو ذلك. وقد تكون أكثر، وأكثر ما تكون عشرة أحرف مثل (ليستخلفنهم) و (أنلزمكموها) (فأسقيناكموه) . وقد تكون الكلمة الواحدة آية مثل والفجر والضحى والعصر وكذلك الم وطه ويس وحم فى قول الكوفيين وحم عسق عندهم كلمتان وغيرهم لايسمى هذه آيات بل يقول هذه فواتح السور وقال أبو عمرو الدانى لا أعلم كلمة هى وحدها آية إلا قوله تعالى (مدهامتان) بسورة الرحمن

(فصل) قال القرطبي أجمعوا على أنه ليس فى القرآن شىء من التراكيب الأعجمية ، وأجمعوا أن فيه أعلاما من الأعجمية كابراهيم ونوح ولوط واختلفوا هل فيه شىء من غير ذلك بالأعجمية فأنكر ذلك الباقلانى والطبرى وقالا ما وقع فيه مما يوافق الأعجمية فهو من باب ماتوافقت فيه اللغات

سورة الفاتحة

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

يقال لها الفاتحة أى فاتحة الكتاب خطا وبها تفتح القراءة فى الصلوات ، ويقال لها أيضا أم الكتاب عند الجمهور ذكره أنس ، والحسن وابن سيرين كرها تسميتها بذلك قال الحسن وابن سيرين إنما ذلك اللوح المحفوظ وقال الحسن الآيات المحكمات هن أم الكتاب ولذا كرها أيضا أن يقال لها أم القرآن وقد ثبت فى الصحيح عند الترمذى وصححه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع الثانى والقرآن العظيم » ويقال لها (الحمد) ويقال لها (الصلاة) لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى » الحديث . فسميت الفاتحة صلاة لأنها شرط فيها ويقال لها (الشفاء) لمارواه الدارمى عن أبى سعيد مرفوعا « فاتحة الكتاب شفاء من كل سم » ويقال لها (الرقية) لحديث أبى سعيد فى الصحيح حين رقى بها الرجل السليم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أنها رقية » ؟ وروى الشعبى عن ابن عباس أنه سماها (أساس القرآن) قال وأساسها بسم الله الرحمن الرحيم وسماها سفيان بن عيينة (بالواقية) وسماها يحيى بن أبى كثير (الكافية) لأنها تكفى عما عداها ولا يكفى ماسواها عنها كما جاء فى بعض الأحاديث المرسلة « أم القرآن عوض من غيرها وليس من غيرها عوض منها » ويقال لها سورة الصلاة والكنز ذكرهما الزمخشرى فى كشافه

وهى مكية قاله ابن عباس وقتادة وأبو العالية ، وقيل مدنية قاله أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهرى ويقال نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة . والأول أشبه لقوله تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثانى) والله تعالى أعلم وحكى أبو الليث السمرقندى أن نصفها نزل بمكة ونصفها الآخر نزل بالمدينة وهو غريب جدا نقله القرطبى عنه وهى سبع آيات بلا خلاف وقال عمرو بن عبيد ثمان وقال حسين الجعفى ستة وهذان القولان شاذان وإنما اختلفوا فى البسملة هل هى آية مستقلة من أولها كما هو عند جمهور قراء الكوفة وقول جماعة من الصحابة والتابعين وخلق من الخلف أو بعض آية أو لاتعد من أولها بالكلية كما هو قول أهل المدينة من القراء والفقهاء على ثلاثة أقوال كما سيأتى تقريرها فى موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

قالوا وكلماتها خمس وعشرون كلمة وحروفها مائة وثلاثة عشر حرفا قال البخارى فى أول كتاب التفسير وسميت أم الكتب لأنه يبدأ بكتابتها فى المصاحف ويبدأ بقراءتها فى الصلاة وقيل إنما سميت بذلك لرجوع معانى القرآن كله

إلى ما تضمنته . قال ابن جرير . والعرب تسمى كل جامع أمر أو مقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمام جامع — أما ، فتقول للجلدة التى تجمع الدماغ أم الرأس ويسمون لواء الجيش ورايتهم التى يجتمعون تحتها أما واستشهد بقول ذى الرمة

على رأسه أم لنا نقتدى بها * جماع أمور ليس نعصى لها أمراً

— يعنى الرمح — قال وسميت مكة أم القرى لتقدمها أمام جميعها وجمعها ما سواها وقيل لأن الأرض دحيت منها . ويقال لها أيضا الفاتحة لأنها تفتتح بها القراءة وافتتحت الصحابة بها كتابة المصحف الامام وصح تسميتها بالسبع المثانى قالوا لأنها تثنى فى الصلاة فتقرأ فى كل ركعة وإن كان للمثانى معنى آخر غير هذا كما سيأتى بيانه فى موضعه إن شاء الله تعالى .

قال الامام أحمد : حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا ابن أبى ذئب وهاشم بن هاشم عن ابن أبى ذئب عن المقبرى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى أم القرآن « هى أم القرآن وهى السبع المثانى وهى القرآن العظيم » ثم رواه عن إسماعيل بن عمر عن ابن أبى ذئب به وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى : حدثنى يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أخبرنى ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « هى أم القرآن وهى فاتحة الكتاب وهى السبع المثانى » وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه فى تفسيره حدثنا أحمد بن محمد بن زياد ، حدثنا محمد بن غالب بن حارث ، حدثنا إسحاق بن عبد الواحد الموصلى ، حدثنا المعافى ابن عمران عن عبد الحميد بن جعفر عن نوح بن أبى بلال عن المقبرى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « الحمد لله رب العالمين سبع آيات : بسم الله الرحمن الرحيم إحداهن ، وهى السبع المثانى والقرآن العظيم ، وهى أم الكتاب ، وفاتحة الكتاب » وقد رواه الدارقطنى أيضا عن أبى هريرة مرفوعا بنحوه أو مثله وقال كلهم ثقات وروى البيهقى عن على وابن عباس وأبى هريرة أنهم فسروا قوله تعالى (سبعا من المثانى) بالفاتحة وأن البسملة هى الآية السابعة منها وسيأتى تمام هذا عند البسملة . وقد روى الأعمش عن إبراهيم قال : قيل لابن مسعود : لم لم تكتب الفاتحة فى مصحفك ؟ فقال : لو كتبتها لكتبتها فى أول كل سورة ، قال أبو بكر بن أبى داود يعنى حيث يقرأ فى الصلاة ، قال : واكتفيت بحفظ المسلمين لها عن كتابتها وقد قيل : إن الفاتحة أول شىء أنزل من القرآن كما ورد فى حديث رواه البيهقى فى دلائل النبوة ونقله الباقلانى أحد أقوال ثلاثة وقيل (يا أيها المدثر) كما فى حديث جابر فى الصحيح وقيل (اقرأ باسم ربك الذى خلق) وهذا هو الصحيح كما سيأتى تقريره فى موضعه والله المستعان

﴿ ذكر ماورد فى فضل الفاتحة ﴾

قال الامام أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله تعالى فى مسنده حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة حدثنى خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبى سعيد بن المعلى رضى الله عنه قال : كنت أصلى فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه حتى صليت قال : فأتيته فقال « ما منعك أن تأتينى ؟ » قال قلت : يارسول الله إنى كنت أصلى قال : ألم يقل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) ثم قال « لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد » قال : فأخذ بيدى فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت : يارسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن قال « نعم ، (الحمد لله رب العالمين) هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته » وهكذا رواه البخارى عن مسدد وعلى بن المدينى كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان به ، ورواه فى موضع آخر من التفسير ، وأبو داود والنسائى وابن ماجه من طرق عن شعبة به ، ورواه الواقدى عن محمد بن معاذ الأنصارى عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبى سعيد بن المعلى عن أبى بن كعب فذكر نحوه . وقد وقع فى الموطأ للامام مالك بن أنس رحمه الله ما ينبغى التنبيه عليه فانه رواه مالك عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقى أن أبا سعيد مولى ابن عامر بن كريز أخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى أبى بن كعب وهو يصلى فى المسجد فلما فرغ من صلاته لحقه قال فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على يدى وهو يريد أن يخرج من باب المسجد ثم قال صلى الله عليه وسلم

« إنى لأرجو أن لاتخرج من باب المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى القرآن مثلها » قال أبى رضى الله عنه فجعلت أبطئ فى المشى رجاء ذلك ثم قلت يارسول الله ما السورة التى وعدتنى ؟ قال « كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة ؟ قال فقرأت عليه (الحمد لله رب العالمين) حتى أتيت على آخرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هى هذه السورة وهى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أعطيت » فأبو سعيد هذا ليس بأبى سعيد بن المعلى كما اعتقده ابن الأثير فى جامع الأصول ومن تبعه فان ابن المعلى صحابى أنصارى وهذا تابعى من موالى خزاعة وذاك الحديث متصل صحيح وهذا ظاهره أنه منقطع إن لم يكن سمعه أبو سعيد هذا من أبى بن كعب فان كان قد سمعه منه فهو على شرط مسلم والله أعلم . على أنه قد روى عن أبى بن كعب من غير وجه كما قال الامام أحمد . حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا العلاء ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى بن كعب وهو يصلى فقال يا أبى فالتفت ثم لم يجبه ثم قال أبى فخفف أبى ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك أى رسول الله فقال وعليك السلام مامنعك أى أبى إذ دعوتك أن تجيبنى فقال أى رسول الله إنى كنت فى الصلاة قال أولست تجد فيما أوحى الله تعالى إلىّ (استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) قال بلى يارسول الله لا أعود قال أتحب أن أعلمك سورة لم تنزل لافى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها ؟ قلت نعم أى رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى لأرجو أن لا أخرج من هذا الباب حتى تعلمها قال فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى يحدثنى وأنا اتبطأ مخافة ان يبلغ قبل ان يقضى الحديث فلما دنونا من الباب قلت أى رسول الله ما السورة التى وعدتنى ؟ قال ماتقرأ فى الصلاة ؟ قال فقرأت عليه أم القرآن قال والذى نفسى بيده ما أنزل الله فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها إنها السبع المثانى ورواه الترمذى عن قتيبة عن الداروردى عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه فذكره وعنده إنها من السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أعطيته ثم قال هذا حديث حسن صحيح وفى الباب عن أنس بن مالك ورواه عبد الله ابن الامام أحمد عن اسماعيل ابن أبى معمر عن أبى أسامة عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة عن أبى بن كعب فذكره مطولا بنحوه أو قريبا منه وقد رواه الترمذى والنسائى جميعا عن أبى عمار حسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن عبد الحميد ابن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله فى التوراة ولا فى الانجيل مثل أم القرآن وهى السبع المثانى وهى مقسومة بينى وبين عبدى نصفين هذا لفظ النسائى وقال الترمذى حديث حسن غريب وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا هاشم يعنى ابن البريد حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أهراق الماء فقلت السلام عليك يارسول الله فلم يرد على قال: فقلت السلام عليك يارسول الله فلم يرد على قال : فقلت السلام عليك يارسول الله فلم يرد على قال فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى وأنا خلفه حتى دخل رحله ودخلت أنا المسجد فجلست كئيبا حزينا فخرج على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تطهر فقال عليك السلام ورحمة الله وبركاته وعليك السلام ورحمة الله ثم قال « ألا أخبرك ياعبد الله بن جابر بأخير سورة فى القرآن ؟ قلت بلى يارسول الله قال اقرأ الحمد لله رب العالمين حتى تختمها » هذا إسناد جيد وابن عقيل هذا يحتج به الأئمة الكبار وعبد الله بن جابر هذا الصحابى ذكر ابن الجوزى أنه هو العبدى والله أعلم ويقال إنه عبد الله بن جابر الأنصارى البياضى فيما ذكره الحافظ ابن عساكر واستدلوا بهذا الحديث وأمثاله على تفاضل بعض الآيات والسور على بعض كما هو المحكى عن كثير من العلماء منهم إسحق بن راهويه وأبو بكر بن العربى وابن الحفار من المالكية وذهبت طائفة أخرى إلى أنه لا تفاضل فى ذلك لأن الجميع كلام الله ولئلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه وإن كان الجميع فاضلا نقله القرطبى عن الأشعرى وأبى بكر الباقلانى وأبى حاتم ابن حبان البستى وأبى حيان ويحيى بن يحيى ورواية عن الامام مالك أيضا حديث آخر قال البخارى فى فضائل القرآن حدثنا محمد بن المثنى حدثنا وهب حدثنا هشام عن محمد بن معبد عن أبى سعيد الخدرى قال كنا فى مسير لنا فنزلنا

فجاءت جارية فقالت إن سيد الحى سليم وإن نفرنا غيب فهل منكم راق ؟ فقام معها رجل ما كنا نأبنه برقية فرقاه فبرأ فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنا فلما رجع قلنا له أكنت تحسن رقية أو كنت ترقى ؟ قال لا مارقيت إلا بأم الكتاب قلنا لاتحدثوا شيئا حتى نأتى ونسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال « وما كان يدريه انها رقية اقسموا واضربوا لى بسهم » وقال أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا هشام حدثنا محمد بن سيرين حدثنى معبد بن سيرين عن أبى سعيد الخدرى بهذا وهكذا رواه مسلم وأبو داود من رواية هشام وهو ابن حسان عن ابن سيرين به وفى بعض روايات مسلم لهذا الحديث أن أبا سعيد الخدرى هو الذى رقى ذلك السليم يعنى اللديغ يسمونه بذلك تفاؤلا

حديث آخر : روى مسلم فى صحيحه والنسائى فى سننه من حديث أبى الأحوص سلام بن سليم عن عمار بن زريق عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبرائيل إذ سمع نقيضا فوقه فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال : هذا باب قد فتح من السماء مافتح قط قال فنزل منه ملك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لم تقرأ حرفا منها إلا أوتيته ، وهذا لفظ النسائى

ولمسلم نحوه: حديث آخر قال مسلم حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلى هو ابن راهويه حدثنا سفيان بن عيينة عن العلاء يعنى ابن عبد الرحمن بن يعقوب الخرقى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج ثلاثا غير تمام » فقيل لأبى هريرة إنا نكون خلف الامام فقال اقرأ بها فى نفسك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله عز وجل « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ماسأل فاذا قال (الحمد لله رب العالمين) قال الله حمدنى عبدى، وإذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله أثنى علىّ عبدى، فاذا قال (مالك يوم الدين) قال الله مجدنى عبدى ، وقال مرة فوض إلى عبدى، فاذا قال (إياك نعبد وإياك نستعين) قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ،فاذا قال (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال الله هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » وهكذا رواه النسائى عن إسحاق بن راهويه وقد رواه أيضا عن قتيبة عن مالك عن العلاء عن أبى السائب مولى هشام بن زهرة عن أبى هريرة وفى هذا السياق « فنصفها لى ونصفها لعبدى، ولعبدى ماسأل » وهكذا رواه ابن اسحاق عن العلاء وقد رواه مسلم من حديث ابن جريج عن العلاء عن أبى السائب هكذا ورواه أيضا من حديث ابن أبى أويس عن العلاء عن أبيه وأبى السائب كلاهما عن أبى هريرة وقال الترمذى هذا حديث حسن وسألت أبا زرعة عنه فقال كلا الحديثين صحيح من قال عن العلاء عن أبيه وعن العلاء عن أبى السائب وقد روى هذا الحديث عبد الله ابن الامام أحمد من حديث العلاء عن أبيه عن أبى هريرة عن أبى بن كعب مطولا وقال ابن جرير حدثنا صالح بن مسمار المروزى حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عنبسة بن سعيد عن مطرف بن طريف عن سعيد بن إسحاق عن كعب بن عجرة عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين وله ماسأل فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال حمدنى عبدى وإذا قال (الرحمن الرحيم) قال أثنى على عبدى . ثم قال هذا لى وله مابقى » وهذا غريب من هذا الوجه

﴿ الكلام على ما يتعلق بهذا الحديث مما يختص بالفاتحة من وجوه ﴾

(أحدها) أنه قد اطلق فيه لفظ الصلاة، والمراد القراءة كقوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) أى بقراءتك كما جاء مصرحا به فى الصحيح عن ابن عباس ، وهكذا قال فى هذا الحديث « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ماسأل » ثم بين تفصيل هذه القسمة فى قراءة الفاتحة فدل على عظمة القراءة فى الصلاة وأنها من أكبر أركانها إذ أطلقت العبادة وأريد بها جزء واحد منها وهو القراءة كما أطلق لفظ القراءة والمراد به الصلاة فى قوله (وقرآن الفجر ، إن قرآن الفجر كان مشهودا) والمراد صلاة الفجر كما جاء مصرحا به فى الصحيحين « انه يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار » فدل هذا كله على أنه لابد من القراءة فى الصلاة وهو اتفاق من العلماء،

ولكن اختلفوا فى مسألة نذكرها فى الوجه الثانى ، وذلك أنه هل يتعين للقراءة فى الصلاة غير فاتحة الكتاب أم تجزىء هى أو غيرها ؟ على قولين مشهورين فعند أبى حنيفة ومن وافقه من أصحابه وغيرهم ؛ أنها لا تتعين بل مهما قرأ به من القرآن أجزأه فى الصلاة واحتجوا بعموم قوله تعالى (فاقرءوا ماتيسر من القرآن) وبما ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة فى قصة المسىء فى صلاته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له « إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ماتيسر معك من القرآن » قالوا فأمره بقراءة ما تيسر ولم يعين له الفاتحة ولا غيرها فدل على ما قلنا

(والقول الثانى) أنه تتعين قراءة الفاتحة فى الصلاة ولا تجزىء الصلاة بدونها ؛ وهو قول بقية الأئمة مالك والشافعى وأحمد بن حنبل وأصحابهم وجمهور العلماء ، واحتجوا على ذلك بهذا الحديث المذكور حيث قال صلوات الله وسلامه عليه « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج » والخداج هو الناقص كما فسره فى الحديث « غير تمام » واحتجوا أيضا بما ثبت فى الصحيحين من حديث الزهرى عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاصلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » . وفى صحيح ابن خزيمة وابن حبان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجزىء صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن » والأحاديث فى هذا الباب كثيرة ووجه المناظرة ههنا يطول ذكره وقد أشرنا إلى مأخذهم فى ذلك رحمهم الله

ثم إن مذهب الشافعى وجماعة من أهل العلم أنه تجب قراءتها فى كل ركعة. وقال آخرون : إنما تجب قراءتها فى معظم الركعات وقال الحسن وأكثر البصريين : إنما تجب قراءتها فى ركعة واحدة من الصلوات أخذا بمطلق الحديث « لاصلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » وقال أبو حنيفة وأصحابه والثورى والأوزاعى : لا تتعين قراءتها بل لو قرأ بغيرها أجزأه لقوله تعالى (فاقرءوا ماتيسر من القرآن) والله أعلم . وقد روى ابن ماجه من حديث أبى سفيان السعدى عن أبى نضرة عن أبى سعيد مرفوعا « لاصلاة لمن لم يقرأ فى كل ركعة بالحمد وسورة فى فريضة أو غيرها » وفى صحة هذا نظر وموضع تحرير هذا كله فى كتاب الأحكام الكبير والله أعلم

(والوجه الثالث) هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء (أحدها) أنه تجب عليه قراءتها كما تجب على إمامه لعموم الأحاديث المتقدمة (والثانى) لا تجب على المأموم قراءة بالكلية للفاتحة ولا غيرها لا فى صلاة الجهرية ولا فى صلاة السرية لما رواه الامام أحمد بن حنبل فى مسنده عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من كان له إمام فقراءة الامام له قراءة » ولكن فى إسناده ضعف . ورواه مالك عن وهب بن كيسان عن جابر من كلامه ؛ وقد روى هذا الحديث من طرق ولا يصح شىء منها عن النبى صلى الله عليه وسلم والله أعلم (والقول الثالث) أنه تجب القراءة على المأموم فى السرية لما تقدم ، ولا يجب ذلك فى الجهرية لما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا ؛ وإذا قرأ فأنصتوا » وذكر بقية الحديث ، وهكذا رواه بقية أهل السنن أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « وإذ قرأ فأنصتوا » وقد صححه مسلم بن الحجاج أيضا ، فدل هذان الحديثان على صحة هذا القول وهو قول قديم للشافعى رحمه الله ؛ والله أعلم . ورواية عن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ـ والغرض من ذكر هذه المسائل ههنا بيان اختصاص سورة الفاتحة بأحكام لا تتعلق بغيرها من السور . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى حدثنا غسان بن عبيد عن أبى عمران الجونى عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شىء إلا الموت »

﴿ تفسير الاستعاذة وأحكامها ﴾

قال الله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين * وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم) وقال تعالى (ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون * وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين

وأعوذ بك رب أن يحضرون) وقال تعالى (ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم * ومايلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم * وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم) فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة فى معناها وهو أن الله تعالى يأمر بمصانعة العدو الإنسى والاحسان اليه ليرده عنه طبعه الطيب الأصل إلى الموالاة والمصافاة ، ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطانى لاعالة إذ لا يقبل مصانعة ولاإحسانا ولايبتغى غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل كما قال تعالى (يابنى آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) وقال تعالى (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقال (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) وقد أقسم للوالد آدم عليه السلام انه لهمن الناصحين وكذب فكيف معاملته لنا وقد قال (فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلاعبادك منهم المخلصين) وقال تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم * إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون)

قالت طائفة من القراء وغيرهم يتعوذ بعد القراءة واعتمدوا على ظاهر سياق الآية ولدفع الاعجاب بعد فراغ العبادة ، وممن ذهب إلى ذلك حمزة فيما نقله عنه ابن فلوفا وأبو حاتم السجستانى حكى ذلك أبو القاسم يوسف بن على بن جنادة الهذلى المغربى فى كتاب العبادة الكامل : وروى عن أبى هريرة أيضا وهو غريب ، ونقله محمد بن عمر الرازى فى تفسيره عن ابن سيرين فى رواية عنه قال . وهو قول ابراهيم النخعى وداود بن على الأصبهانى الظاهرى . وحكى القرطبى عن أبى بكر بن العربى عن المجموعة عن مالك رحمه الله أن القارىء يتعوذ بعد الفاتحة ، واستغربه ابن العربى ! . وحكى قولا ثالثا وهو الاستعاذة أولا وآخراً جمعاً بين الدليلين ، نقله الرازى . والمشهور الذى عليه الجمهور أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة لدفع الموسوس عنها — ومعنى الآية عندهم (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) أى إذا أردت القراءة كقوله تعالى (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم) الآية أى اذا أردتم القيام ، والدليل على ذلك الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا محمد بن الحسن بن أنس حدثنا جعفر بن سليمان عن على بن على الرفاعى اليشكرى عن أبى المتوكل التاجى عن أبى سعيد الخدرى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال « سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك وتعالى جدك ، ولا اله غيرك — ثم يقول — لاإله الاالله — ثلاثا ثم يقول — أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه » وقدرواه أهل السنن الأربعة من رواية جعفر بن سليمان عن على ابن على وهو الرفاعى ، وقال الترمذى . هو أشهر شىء فى هذا الباب ، وقد فسر الهمز بالموتة وهى الخنق ، والنفخ بالكبر والنفث بالشعر . كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن عاصم الغزى عن نافع بن جبير المطعم عن أبيه قال . رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين دخل فى الصلاة قال « الله أكبر كبيراً ثلاثاً ، الحمد لله كثيراً ثلاثاً ، سبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثاً ، — اللهم انى أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفخه ونفثه » قال عمر : وهمزه الموتة ونفخه الكبر ونفثه الشعر وقال ابن ماجه . حدثنا على بن المنذر ، حدثنا ابن فضيل ، حدثنا عطاء بن السائب عن أبى عبدالرحمن السلمى عن أبى مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اللهم انى أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه قال : همزه الموتة ونفخه الكبر ونفثه الشعر وقال الامام أحمد : حدثنا اسحاق بن يوسف ، حدثنا شريك عن يعلى بن عطاء عن رجل حدثه أنه سمع أبا أمامة الباهلى يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة كبر ثلاثا ثم قال « لاالله الا الله ثلاث مرات ، وسبحان الله وبحمده ثلاث مرات » ثم قال « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه » وقال الحافظ أبو يعلى أحمد بن على بن المثنى الموصلى فى مسنده ، حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان الكوفى ، حدثنا على بن هشام بن البريد عن يزيد بن زياد عن عبدالملك ابن عمير عن عبدالرحمن بن أبى ليلى عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال : تلاحى رجلان عند النبى صلى الله عليه وسلم فتمزع

أنف أحدهما غضباً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انى لأعلم شيئا لو قاله لذهب عنه مايجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم »وكذا رواه النسائى فى اليوم والليلة عن يوسف بن عيسى المروزى عن الفضل بن موسى عن يزيد بن زياد بن أبى الجعدية ، وقد روى هذا الحديث أحمد بن حنبل عن أبى سعيد عن زائدة وأبو داود عن يوسف بن موسى عن جرير ابن عبد الحميد والترمذى والنسائى فى اليوم والليلة عن بندار عن ابن مهدى عن الثورى والنسائى أيضا من حديث زائدة ابن قدامة ثلاثتهم عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال. استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فغضب أحدهما غضباً شديداً حتى يخيل الىّ أن أحدهما يتمزع أنفه من شدة غضبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد من الغضب » فقال . ماهى يارسول الله ، قال يقول « اللهم انى أعوذ بك من الشيطان الرجيم » قال . فجعل معاذ يأمره فأبى وجعل يزداد غضباً وهذا لفظ أبى داود، وقال الترمذى : مرسل يعنى أن عبد الرحمن بن أبى ليلى لم يلق معاذ بن جبل فانه مات قبل سنة عشرين (قلت) وقد يكون عبد الرحمن بن أبى ليلى سمعه من أبى بن كعب كما تقدم وبلغه عن معاذ بن جبل فان هذه القصة شهدها غير واحد من الصحابة رضى الله عنهم . قال البخارى . حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا جرير عن الأعمش عن عدى بن ثابت قال: قال سليمان بن صرد رضى الله عنه . استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس فأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه مايجده لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فقالوا للرجل : ألاتسمع مايقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انى لست بمجنون ، وقد رواه أيضاً مع مسلم وأبى داود والنسائى من طرق متعددة عن الأعمش به

وقد جاء فى الاستعاذة أحاديث كثيرة يطول ذكرها ههنا وموطنها كتاب الأذكار وفضائل الأعمال والله أعلم وقد روى أن جبريل عليه السلام أول مانزل بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بالاستعاذة كما قال الامام أبو جعفر بن جرير ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا عثمان بن سعيد ، حدثنا بشر بن عمارة حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال . أول مانزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال « يامحمد استعذ » قال « أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » ثم قال « قل بسم الله الرحمن الرحيم » ثم قال (اقرأ باسم ربك الذى خلق) قال عبد الله : وهى أول سورة أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان جبريل . وهذا الأثر غريب وانما ذكرناه ليعرف فان فى اسناده ضعفاً وانقطاعا والله أعلم .

(مسئلة) وجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة ليست بمتحتمة يأثم تاركها وحكى الرازى عن عطاء بن أبى رباح وجوبها فى الصلاة وخارجها كلما أراد القراءة قال . وقال ابن سيرين . اذا تعوذ مرة واحدة فى عمره فقد كفى فى اسقاط الوجوب واحتج الرازى لعطاء بظاهر الآية (فاستعذ) وهو أمر ظاهره الوجوب وبمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم عليها ولأنها تدرأ شر الشيطان وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ولأن الاستعاذة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب وقال بعضهم . كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته وحكى عن مالك أنه لا يتعوذ فى المكتوبة ويتعوذ ليقام رمضان فى أول ليلة منه .

(مسئلة) وقال الشافعى فى الاملاء يجهر بالتعوذ وان أسر فلا يضر وقال فى الأم بالتخيير لانه أسر ابن عمر وجهر أبو هريرة واختلف قول الشافعى فيما عدا الركعة الأولى هل يستحب التعوذ فيها على قولين ورجح عدم الاستحباب والله أعلم فاذا قال المستعيذ . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كفى ذلك عند الشافعى وابى حنيفة وزاد بعضهم . اعوذ بالله السميع العليم وقال آخرون بل يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم قاله الثورى والأوزاعى وحكى عن بعضهم انه يقول أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم لمطابقة امر الآية ولحديث الضحاك عن ابن عباس المذكور والاحاديث الصحيحة كما تقدم أولى بالاتباع من هذا والله أعلم

(مسئلة) ثم الاستعاذة فى الصلاة انما هى للتلاوة وهو قول ابى حنيفة ومحمد . وقال أبو يوسف بل للصلاة فعلى

هـذا يتعوذ المأموم وان كان لايقرأ ويتعوذ فى العيد بعد الاحرام وقبل تـكبيرات العيد والجهور بعدها قبل القراءة ومن لطائف الاستعاذة أنها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث وتطييب له وهو لتلاوة كلام الله وهى استعانة بالله واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هـذا العدو المبين الباطنى الذى لا يقـدر على منعه ودفعه إلا الله الذى خلقه ولا يقبل مصانعة ولا يدارى بالاحسان بخـلاف العدو من نوع الانسان كما دلت على ذلك آيات من القرآن فى ثلاث من الثانى وقال تعالى (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا) وقـد نزلت الملائـكة لمقاتلة العدو البشرى فمن قتله العدو الظاهر البشرى كان شهيدا ، ومن قتله العدو الباطنى كان طريدا . ومن غلبه العدو الظاهرى كان مأجورا ، ومن قهره العدو الباطنى كان مفتونا أو موزورا ، ولما كان الشيطان يرى الانسان من حيث لايراه استعاذ منه بالذى يراه ولا يراه الشيطان .

﴿ فصل ﴾ والاستعاذة هى الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجنابه من شر كل ذى شر والعياذة تـكون لدفع الشر واللياذ يكون لطلب جلب الخير كما قال المتنبى :

يامن ألوذ به فيما أؤمـــله * ومن أعوذ به ممن أحاذره
لايجبر الناس عظما أنت كاسره * ولايهيضون عظما أنت جابره

ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أى استجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرنى فى دينى أو دنياى أو يصدنى عن فعل ما أمرت به ، أويحثنى على فعل مانهيت عنه فان الشيطان لا يكفه عن الانسان إلا الله ولهـذا أمر تعالى بمصانعة شيطان الانس ومداراته باسـداء الجميل اليه ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى وأمر بالاستعاذة به من شـيطان الجن لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل لأنه شرير بالطبع ولا يكفه عنك إلا الذى خلقه وهذا المعنى فى ثلاث آيات من القرآن لا أعلم لهن رابعة قوله فى الأعراف (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) فهذا فيما يتعلق بمعاملة الأعداء من البشر ثم قال (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاسـتعذ بالله إنه سميع عليم)وقال تعالى فى سورة قدأفلح المؤمنون (ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون * وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) وقال تعالى فى سورة حم السجدة (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلاذو حظ عظيم * وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم)

الشيطان فى لغة العرب مشتق من شطن إذا بعد فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر وبعيد بفسقه عن كل خير وقيل مشتق من شاط لأنه مخلوق من نار ومنهم من يقول كلاهما صحيح فى المعنى ولـكن الأول أصح وعليه يدل كلام العرب قال أمية بن أبى الصلت فى ذكر ما أوتى سليمان عليه السلام

أيما شاطن عصاه عكاه * ثم يلقى فى السجن والاغلال

فقال أيما شاطن ولم يقل أيما شائط وقال النابغة الذبيانى وهو زياد بن عمرو بن معاوية بن جابر بن ضباب بن يربوع بن مرة بن سعد بن ذبيان

نأت بسعاد عنك نوى شطون * فبانت والفـؤاد بها رهـين

يقول بعدت بها طريق بعيدة وقال سيبويه : العرب تقول تشيطن فلان إذا فعل فعل الشياطين ولو كان من شاط لقالوا تشيط فالشيطان مشتق من البعد على الصحيح ولهذا يسمون كل من تمرد من جنى وإنسى وحيوان شيطانا قال الله تعالى (وكذلك جعلنا لـكل نبى عدوا شـياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وفى مسند الامام أحمد عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر « تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن »فقلت أوللانس شياطين ؟ قال « نعم » وفى صحيح مسلم عن أبى ذر أيضا قال : قال رسول الله ﷺ «يقطع الصلاة المرأة والحمار والـكلب الأسود» فقلت يارسول الله مابال الكلب الأسود من الأحمر والأصفر ؟ فقال الكلب الأسود

شيطان وقال ابن وهب أخبرنى هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ركب برذونا فجعل يتبختر به فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبخترا فنزل عنه وقال ما حملتونى إلا على شيطان مانزلت عنه حتى أنكرت نفسى إسناده صحيح . والرجيم فعيل بمعنى مفعول أى انه مرجوم مطرود عن الخير كله كما قال تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) وقال تعالى (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد * لايسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب * دحورا ولهم عذاب واصب * إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) وقال تعالى (ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم * إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين) إلى غير ذلك من الآيات وقيل رجيم بمعنى راجم لأنه يرجم الناس بالوساوس والرباثث والأول أشهر وأصح

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ افتتح بها الصحابة كتاب الله واتفق العلماء على أنها بعض آية من سورة النمل ثم اختلفوا هل هى آية مستقلة فى أول كل سورة أو من أول كل سورة كتبت فى أولها أو انها بعض آية من كل سورة أو إنها كذلك فى الفاتحة دون غيرها أو إنها إنما كتبت للفصل لا إنها آية على أقوال للعلماء سلفا وخلفا وذلك مبسوط فى غير هذا الموضع وفى سنن أبى داود باسناد صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لايعرف فصل السورة حتى ينزل عليه (بسم الله الرحمن الرحيم) وأخرجه الحاكم أبو عبدالله النيسابورى فى مستدركه أيضا وروى مرسلا عن سعيد ابن جبير وفى صحيح ابن خزيمة عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة فى أول الفاتحة فى الصلاة وعدها آية لكنه من رواية عمر بن هارون البلخى وفيه ضعف عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عنها وروى له الدارقطنى متابعا عن أبى هريرة مرفوعا وروى مثله عن على وابن عباس وغيرهما وممن حكى عنه أنها آية من كل سورة إلا براءة ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو هريرة وعلى ومن التابعين عطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومكحول والزهرى وبه يقول عبدالله بن المبارك والشافعى وأحمد بن حنبل فى رواية عنه واسحاق بن راهويه وأبو عبيد القاسم ابن سلام رحمهم الله وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابهما ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وقال الشافعى فى قول فى بعض طرق مذهبه هى آية من الفاتحة. وليست من غيرها وعنه أنها بعض آية من أول كل سورة وهما غريبان وقال داود هى آية مستقلة فى أول كل سورة لامنها وهذا رواية عن الامام أحمد بن حنبل وحكاه أبو بكر الرازى عن أبى الحسن الكرخى وهما من أكابر أصحاب أبى حنيفة رحمهم الله . هذا ما يتعلق بكونها آية من الفاتحة أم لا

فأما الجهر بها ففرع على هذا فمن رأى انها ليست من الفاتحة فلا يجهر بها وكذا من قال إنها آية فى أولها وأما من قال بأنها من أوائل السور فاختلفوا فذهب الشافعى رحمه الله إلى انه يجهر بها مع الفاتحة والسورة وهو مذهب طوائف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين سلفا وخلفا فجهر بها من الصحابة أبو هريرة وابن عمر وابن عباس ومعاوية وحكاه ابن عبد البر والبيهقى عن عمر وعلى ونقله الخطيب عن الخلفاء الأربعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وهو غريب ومن التابعين عن سعيد بن جبير وعكرمة وأبى قلابة والزهرى وعلى بن الحسن وابنه محمد وسعيد بن المسيب وعطاء وطاوس ومجاهد وسالم ومحمد بن كعب القرظى وعبيد وأبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وأبى وائل وابن سيرين ومحمد بن المنكدر وعلى بن عبد الله بن عباس وابنه محمد ونافع مولى ابن عمر وزيد بن أسلم وعمر بن عبد العزيز والأزرق بن قيس وحبيب بن أبى ثابت وأبى الشعثاء ومكحول وعبد الله بن مغفل بن مقرن زاد البيهقى وعبدالله بن صفوان ومحمد ابن الحنفية زاد ابن عبد البر وعمرو بن دينار والحجة فى ذلك انها بعض الفاتحة فيجهر فيها كسائر ابعاضها وأيضا فقد روى النسائى فى سننه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم فى مستدركه عن أبى هريرة انه صلى فجهر فى قراءته بالبسملة وقال بعد ان فرغ إنى لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم وصححه الدارقطنى والخطيب والبيهقى وغيرهم وروى أبو داود والترمذى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم ثم قال الترمذى وليس اسناده بذاك وقد رواه الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر

بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال صحيح وفى صحيح البخارى عن أنس بن مالك أنه سئل عن قراءة النبى ﷺ فقال كانت قراءته مداثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم . وفى مسند الامام أحمد وسنن أبى داود وصحيح ابن خزيمة ومستدرك الحاكم عن أم سلمة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته : بسم الله الرحمن الرحيم * الحمدلله رب العالمين* الرحمن الرحيم مالك يوم الدين * وقال الدارقطنى إسناده صحيح وروى الامام أبو عبدالله الشافعى والحاكم فى مستدركه عن أنس بن معاوية صلى بالمدينة فترك البسملة فأنكر عليه من حضره من المهاجرين ذلك فلما صلى المرة الثانية بسمل . وفى هذه الأحاديث والآثار التى أوردناها كفاية ومقنع فى الاحتجاج لهذا القول عما عداها . فأما المعارضات والروايات الغريبة وتطريقها وتعليلها وتضعيفها وتقريرها فله موضع آخر وذهب آخرون بأنه لايجهر بالبسملة فى الصلاة وهذا هو الثابت عن الخلفاء الأربعة وعبدالله بن مغفل وطوائف من سلف التابعين والخلف وهو مذهب أبى حنيفة والثورى وأحمد بن حنبل . وعند الامام مالك أنه لايقرأ البسملة بالكلية لا جهرا ولا سرا واحتجوا بما فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وبما فى الصحيحين عن أنس بن مالك قال صليت خلف النبى ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون بالحمد لله رب العالمين ولمسلم لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم فى أول قراءة ولا فى آخرها ونحوه فى السنن عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه فهذه مآخذ الأئمة رحمهم الله فى هذه المسألة وهى قريبة لأنهم أجمعوا على صحة صلاة من جهر بالبسملة ومن أسر ولله الحمد والمنة

فصل فى فضلها

قال الامام العالم الحبر العابد أبو محمد عبدالرحمن بن أبى حاتم رحمه الله فى تفسيره حدثنا أبى حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا زيد بن المبارك الصنعانى حدثنا سلام بن وهب الجندى حدثنا أبى عن طاوس عن ابن عباس أن عثمان بن عفان سأل رسول الله ﷺ عن بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال « هو اسم من أسماء الله وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العينين وبياضهما من القرب » وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه عن سليمان بن احمد عن على بن المبارك عن زيد بن المبارك به وقد روى الحافظ بن مردويه من طريقين عن اسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن يحيى عن مسعر عن عطية عن ابى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « إن عيسى بن مريم عليه السلام أسلمته امه إلى الكتاب ليعلمه فقال له المعلم : اكتب فقال . ما أكتب ؟ قال بسم الله قال له عيسى : وما باسم الله ؟ قال المعلم: ما أدرى قال له عيسى . الباء بهاء الله والسين سناؤه ، والميم مملكته ، ، والله إله الآلهة ، والرحمن رحمن الدنيا والآخرة ، والرحيم رحيم الآخرة» وقد رواه ابن جرير من حديث إبراهيم بن العلاء الملقب بابن زبريق عن إسماعيل بن عياش عن اسماعيل بن يحيى عن ابن ابى مليكة عمن حدثه عن ابن مسعود ومسعر عن عطية عن ابى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ فذكره وهذا غريب جدا ، وقد يكون صحيحا إلى من دون رسول الله ﷺ ، وقد يكون من الاسرائيليات لا من المرفوعات والله اعلم . وقد روى جويبر عن الضحاك نحوه من قبله ، وقد روى ابن مردويه من حديث يزيد بن خالد عن سليمان بن بريدة وفى رواية عن عبدالكريم ابى امية عن أبى بريدة عن ابيه ان رسول الله ﷺ قال« انزلت على آية لم تنزل على نبى غير سليمان بن داود وغيرى وهى بسم الله الرحمن الرحيم ، وروى باسناده عن عبد الكريم الكبير بن المعافى بن عمران عن ابيه عن عمر بن ذر عن عطاء بن ابى رباح عن جابر بن عبد الله قال . لما نزل (بسم الله الرحمن الرحيم) هرب الغيم إلى المشرق وسكنت الرياح ، وهاج البحر ، وأصغت البهائم بآذانها ، ورجمت الشياطين من السماء ، وحلف الله تعالى بعزته وجلاله ان لايسمى اسمه على شىء إلا بارك فيه . وقال وكيع عن الأعمش عن ابى وائل عن ابن مسعود قال من اراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) فيجعل الله له من كل حرف منها جنة من كل واحد ، ذكره ابن عطية والقرطبى ووجهه ابن عطية ونصره بحديث

لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها لقول الرجل ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، من أجل أنها بضعة وثلاثون حرفا وغير ذلك وقال الامام أحمد بن حنبل فى مسنده حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم قال : سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف النبي ﷺ قال : عثر بالنبي ﷺ . فقلت تعس الشيطان فقال النبي ﷺ « لا تقل تعس الشيطان ؛ فانك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم وقال بقوتى صرعته ، وإذا قلت باسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب » هكذا وقع فى رواية الامام أحمد ، وقد روى النسائى فى اليوم والليلة وابن مردويه فى تفسيره من حديث خالد الحذاء عن أبى تميمة وهو الهجيمى عن أبى المليح بن أسامة بن عمير عن أبيه قال . كنت رديف النبي ﷺ فذكره وقال « لا تقل هكذا فانه يتعاظم حتى يكون كالبيت ، ولكن قل باسم الله فانه يصغر حتى يكون كالذبابة » فهذا من تأثير بركة باسم الله ، ولهذا تستحب فى أول كل عمل وقول . فتستحب فى أول الخطبة لما جاء « كل أمر لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم » وتستحب البسملة عند دخول الخلاء لما ورد من الحديث فى ذلك وتستحب فى أول الوضوء لما جاء فى مسند الامام أحمد والسنن من رواية أبى هريرة وسعيد بن زيد وأبى سعيد مرفوعا « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » وهو حديث حسن . ومن العلماء من أوجبها عند الذكر ههنا ومنهم من قال بوجوبها مطلقا وكذا تستحب عند الذبيحة فى مذهب الشافعى وجماعة وأوجبها آخرون عند الذكر ومطلقا فى قول بعضهم كما سيأتى بيانه فى موضعه إن شاء الله وقد ذكر الرازى فى تفسيره فى فضل البسملة أحاديث منها عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إذا أتيت أهلك فسم الله فانه إن وجد لك ولد كتب لك بعدد أنفاسه وأنفاس ذريته حسنات » وهذا لا أصل له ولا رأيته فى شىء من الكتب المعتمد عليها ولا غيرها . وهكذا تستحب عند الأكل لما فى صحيح مسلم ان رسول الله ﷺ قال لربيبه عمر بن ابى سلمة « قل باسم الله وكل بيمينك وكل مما يليك » ومن العلماء من أوجبها والحالة هذه وكذلك تستحب عند الجماع لما فى الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « لو ان احدكم إذا اراد ان يأتى اهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه إن يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان ابدا »

ومن ههنا ينكشف لك ان القولين عند النحاة فى تقدير المتعلق بالباء فى قوله باسم الله هل هو اسم او فعل متقاربان ، وكل قد ورد به القرآن ، اما من قدره باسم تقديره باسم الله ابتدائى فلقوله تعالى (وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها ان ربى لغفور رحيم) ومن قدره بالفعل امراً او خبرا نحو أبدأ باسم الله او ابتدأت باسم الله فلقوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق) وكلاهما صحيح فان الفعل لا بد له من مصدر فلك ان تقدر الفعل ومصدره وذلك بحسب الفعل الذى سميت قبله إن كان قياماً او قعوداً او أكلا او شربا او قراءة او وضوءا او صلاة فالمشروع ذكر اسم الله فى الشروع فى ذلك كله تبركا وتيمنا واستعانة على الاتمام والتقبل والله اعلم . ولهذا روى ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن بن عباس قال إن اول ما نزل به جبريل على محمد ﷺ قال « يا محمد قل أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال : قل (بسم الله الرحمن الرحيم) قال : قال له جبريل باسم الله يا محمد يقول اقرأ بذكر الله ربك وقم واقعد بذكر الله تعالى » لفظ ابن جرير

وأما مسئلة الاسم هل هو المسمى أو غيره ففيها للناس ثلاثة اقوال ، أحدها أن الاسم هو المسمى ، وهو قول ابى عبيدة وسيبويه ، واختاره الباقلانى وابن فورك وقال الرازى وهو محمد بن عمر المعروف بابن خطيب الرى فى مقدمات تفسيره . قالت الحشوية والكرامية والأشعرية الاسم نفس المسمى وغير نفس التسمية ، وقالت المعتزلة الاسم غير المسمى ونفس التسمية ، والمختار عندنا ان الاسم غير المسمى وغير التسمية ، ثم نقول إن كان المراد بالاسم هذا اللفظ الذى هو أصوات متقطعة وحروف مؤلفة ، فالعلم الضرورى حاصل أنه غير المسمى وإن كان المراد بالاسم ذات المسمى ، فهذا يكون من باب إيضاح الواضحات وهو عبث ، فثبت ان الخوض فى هذا البحث على جميع التقديرات يجرى مجرى العبث . ثم شرع يستدل على مغايرة الاسم للمسمى ، بانه قد يكون الاسم موجودا والمسمى مفقودا كلفظة

المعدوم وبأنه قد يكون للشيء أسماء متعددة كالمترادفة وقد يكون الاسم واحدا والمسميات متعددة كالمشترك وذلك دال على تغاير الاسم والمسمى وأيضا فالاسم لفظ وهو عرض والمسمى قد يكون ذاتا ممكنة أو واجبة بذاتها وأيضا فلفظ النار والثلج لو كان هو المسمى لوجد اللافظ بذلك حر النار أو برد الثلج ونحو ذلك ولا يقوله عاقل وأيضا فقد قال الله تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن لله تسعة وتسعين اسما » فهذه أسماء كثيرة والمسمى واحد وهو الله تعالى وأيضا فقوله (ولله الأسماء) أضافها إليه كما قال (فسبح باسم ربك العظيم) ونحو ذلك فالاضافة تقتضى المغايرة وقوله تعالى (فادعوه بها) أى فادعوا الله بأسمائه وذلك دليل على أنها غيره واحتج من قال الاسم هو المسمى بقوله تعالى (تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام) والمتبارك هو الله تعالى والجواب أن الاسم معظم لتعظيم الذات المقدسة وأيضا فاذا قال الرجل زينب طالق يعنى امرأته طلقت ولو كان الاسم غير المسمى لما وقع الطلاق والجواب أن المراد أن الذات المسماة بهذا الاسم طالق . قال الرازى : وأما التسمية فانها جعل الاسم معينا لهذه الذات فهى غير الاسم أيضا والله أعلم

(الله) علم على الرب تبارك وتعالى يقال إنه الاسم الأعظم لأنه يوصف بجميع الصفات كما قال تعالى (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له كما قال تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) وقال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعو الرحمن أيا ماتدعوا فله الأسماء الحسنى) وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة » وجاء تعدادها فى رواية الترمذى وابن ماجه وبين الروايتين اختلاف زيادة ونقصان وقد ذكر الرازى فى تفسيره عن بعضهم أن لله خمسة آلاف اسم ألف فى الكتاب والسنة الصحيحة وألف فى التوراة وألف فى الانجيل وألف فى الزبور وألف فى اللوح المحفوظ

وهو اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى ولهذا لايعرف فى كلام العرب له اشتقاق من فعل يفعل فذهب من ذهب من النحاة إلى أنه اسم جامد لا اشتقاق له وقد نقله القرطبى عن جماعة من العلماء منهم الشافعى والخطابى وإمام الحرمين والغزالى وغيرهم وروى عن الخليل وسيبويه أن الألف واللام فيه لازمة قال الخطابى ألاترى أنك تقول يا أله ولا تقول ياألرحمن فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام وقيل إنه مشتق واستدلوا عليه بقول رؤبة بن العجاج

لله در الغانيات المده * سبحن واسترجعن من تألهى

فقد صرح الشاعر بلفظ المصدر وهو التأله من أله يأله إلاهة وتألها كما روى عن ابن عباس أنه قرأ (ويذرك وإلاهتك) قال عبادتك اى انه كان يعبد ولا يعبد وكذا قال مجاهد وغيره وقد استدل بعضهم على كونه مشتقا بقوله تعالى (وهو الله فى السموات وفى الأرض) كما قال تعالى (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) ونقل سيبويه عن الخليل ان اصله إلاه مثل فعال فأدخلت الألف واللام بدلا من الهمزة قال سيبويه مثل الناس اصله اناس وقيل اصل الكلمة لاه فدخلت الألف واللام للتعظيم وهذا اختيار سيبويه . قال الشاعر :

لاه ابن عمك لأفضلت فى حسب * عنى ولا أنت ديانى فتخزونى

قال القرطبى بالخاء المعجمة اى فتسوسنى وقال الكسائى والفراء اصله الاله حذفوا الهمزة وأدغموا اللام الاولى فى الثانية كما قال (لكنا هو الله ربى) اى لكن انا وقد قرأها كذلك الحسن ، قال القرطبى ثم قيل هو مشتق من وله اذا تحير والوله ذهاب العقل يقال رجل واله وامرأة ولهى ومولوهة اذا ارسل فى الصحراء فالله تعالى يحير أولئك فى الفكر فى حقائق صفاته فعلى هذا يكون ولاه فأبدلت الواو همزة كما قالوا فى وشاح اشاح ووسادة اسادة وقال الرازى وقيل انه مشتق من ألهت الى فلان اى سكنت إليه فالعقول لاتسكن إلا الى ذكره ، والأرواح لاتفرح إلا بمعرفته لأنه الكامل على الاطلاق دون غيره قال الله تعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا) قال وقيل من لاه يلوه إذا احتجب

وقيل اشتقاقه من أله الفصيل أولع بأمه والمعنى أن العباد مألوهون مولعون بالتضرع إليه فى كل الأحوال قال وقيل مشتق من أله الرجل يأله إذا فزع من أمر نزل به فألهه أى أجاره فالمجير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه لقوله تعالى (وهو يجير ولايجار عليه) وهو المنعم لقوله تعالى (ومابكم من نعمة فمن الله) وهو المطعم لقوله تعالى (وهو يطعم ولايطعم) وهو الموجد لقوله تعالى (قل كل من عند الله) وقد اختار الرازى أنه اسم غير مشتق البتة قال وهو قول الخليل وسيبويه وأكثر الأصوليين والفقهاء ثم أخذ يستدل على ذلك بوجوه منها أنه لوكان مشتقا لاشترك فى معناه كثيرون ومنها أن بقية الأسماء تذكر صفات له فتقول الله الرحمن الرحيم الملك القدوس فدل أنه ليس بمشتق قال فأما قوله تعالى (العزيز الحميد الله) على قراءة الجر فجعل ذلك من باب عطف البيان ومنهاقوله تعالى(هل تعلم له سميا) وفى الاستدلال بهذه على كون هذا الاسم جامدا غير مشتق نظر والله أعلم .

وحكى الرازى عن بعضهم أن اسم الله تعالى عبرانى لاعربى ثم ضعفه وهو حقيق بالتضعيف كماقال وقدحكى الرازى هذا القول ثم قال واعلم أن الخلائق قسمان واصلون إلى ساحل بحر المعرفة ومحرومون قد بقوا فى ظلمات الحيرة وتيه الجهالة فكأنهم قد فقدوا عقولهم وأرواحهم وأما الواجدون فقد وصلوا إلى عرصة النور وفسحة الكبرياء والجلال فتاهوا فى ميادين الصمدية وبادوا فى عرصة الفردانية فثبت أن الخلائق كلهم والهون فى معرفته ، وروى عن الخليل بن أحمد أنه قال لأن الخلق يألهون إليه بفتح اللام وكسرها لغتان ، وقيل إنه مشتق من الارتفاع فكانت العرب تقول لكل شىء مرتفع لاها وكانوا يقولون إذا طلعت الشمس لاهت وقيل إنه مشتق من أله الرجل إذا تعبد وتأله إذ تنسك وقرأ ابن عباس (ويذرك وإلاهتك) وأصل ذلك الاله فحذفت الهمزة التى هى فاء الكلمة فالتقت اللام التى هى عينها مع اللام الزائدة فى أولها للتعريف فأدغمت إحداها فى الأخرى فصارتا فى اللفظ لاماواحدة مشددة وفخمت تعظيما فقيل الله

(الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ورحمن أشدمبالغة من رحيم وفى كلام ابن جرير مايفهم منه حكاية الاتفاق على هذا وفى تفسير بعض السلف مايدل على ذلك كما تقدم فى الأثر عن عيسى عليه السلام انه قال والرحمن رحمن الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة وزعم بعضهم انه غير مشتق إذ لوكان كذلك لاتصل بذكر المرحوم وقد قال (وكان بالمؤمنين رحيما) وحكى ابن الانبارى فى الزاهر عن المبرد ان الرحمن اسم عبرانى ليس بعربى وقال ابو اسحاق الزجاج فى معانى القرآن : وقال أحمد بن يحيى الرحيم عربى والرحمن عبرانى فلهذا جمع بينهما قال ابو اسحق وهذا القول مرغوب عنه وقال القرطبى والدليل على انه مشتق ماخرجه الترمذى وصححه عن عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول « قال الله تعالى انا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » قال وهذا نص فى الاشتقاق فلا معنى للمخالفة والشقاق ، قال وانكار العرب لاسم الرحمن لجهلهم بالله وبما وجب له قال القرطبى ثم قيل هما بمعنى واحد كندمان ونديم قال ابو عبيد وقيل ليس بناء فعلان كفعيل فان فعلان لايقع إلا على مبالغة الفعل نحو قولك رجل غضبان للرجل الممتلىء غضبا وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول قال ابو على الفارسى الرحمن اسم عام فى جميع انواع الرحمة يختص به الله تعالى والرحيم انما هو من جهة المؤمنين قال الله تعالى (وكان بالمؤمنين رحيما) وقال ابن عباس هما اسمان رقيقان احدهما ارق من الآخر أى اكثر رحمة ثم حكى عن الخطابى وغيره انهم استشكلوا هذه الصفة وقالوا لعله ارفق كما فى الحديث « ان الله رفيق يحب الرفق فى الامر كله وانه يعطى على الرفق مالا يعطى على العنف » وقال ابن المبارك الرحمن اذا سئل اعطى والرحيم اذا لم يسأل يغضب وهذا كما جاء فى الحديث الذى رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى صالح الفارسى الخوزى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من لم يسال الله يغضب عليه » وقال بعض الشعراء

الله يغضب ان تركت سؤاله ... وبنى آدم حين يسأل يغضب

وقال ابن جرير حدثنا السرى بن يحيى التميمى حدثنا عثمان بن زفر سمعت العزرمى يقول الرحمن الرحيم قال الرحمن لجميع الخلق الرحيم قال بالمؤمنين قالوا ولهذا قال (ثم استوى على العرش الرحمن) وقال (الرحمن على العرش